

# الباب الثاني

## الأطباء

في القرنين  
الهجريين الأولين

## مقدمة الباب الثانى

لم نعرف فى التاريخ أطباء مشهورين خلال هذين القرنين فى مصر. سوى الذين عملوا فى مدرسة الإسكندرية ولحقوا بالإسلام ولعل السبب فى ذلك أن اللغة السائدة حتى سنة ٧٠٤هـ/٧٠٤م كانت اللغة القبطية، ولكن فى هذه السنة أصبحت اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى البلاد. نضيف إلى ذلك أن هذه الفترة كانت فترة ترجمات من الإغريقية والسرانية إلى العربية. ولم تكن هناك مؤلفات عربية صرفة فى مصر. ومن البداهة أن الطب فى هذه الفترة كان يعتمد اعتمادا كبيرا على الطب الإغريقي والطب السكندري. وتتوقع أن تكون أية مصنفات فى ذلك العهد مجرد شروح وإختصارات للمؤلفات الإغريقية. كما أن هذه الشروح لم تكن باللغة العربية إنما كانت فى معظم الأحوال باللغة السريانية.

وفى هذه الفترة كانت العلوم الشرعية هى التى تنصدر الدراسات والمعارف المطلوبة للمسلمين الجدد. ولم يكن هناك تدوين أو تسجيل لما قام به الأطباء. وبذلك لم يحفظ لنا التاريخ أسماء أو أعمال أطباء كثيرين خلال هذه الفترة من الزمان.

وفى الشام، حيث حاضرة الأمويين دمشق، أنشأ الوليد بن عبد الملك أول بيمارستان فى الإسلام سنة ٨٨هـ. وذكر الطبرى أن الخليفة المذكور أمر يحيى المجنومين، وأجرى لهم الأرزاق، وكان هذا أول محجر شيد فى الإسلام وقيل أنه كان فى الدولة الأموية مارستان فى زقاق القناديل دار أبى زيد. وزقاق القناديل - ويقال له زقاق القنديل - من أزقة الفسطاط.

ولاشك فى أن الترجمات التى حدثت، إبان هذه الفترة فى العصر العباسي كانت الأساس الهام لما ألفه الأطباء فى أنحاء الدولة الإسلامية. وكان ممن عنى بنقل الطب يحيى بن البطريق وجورجوس بن بختيشوع وعبد الله بن المقفع ويوحنا بن ماسويه وغيرهم

## يحيى النحوى الاسكندراني

### نهاية القرن الخامس الميلادي

وكان اسمه الاسكلاني حتى لحق أوائل الإسلام. وهو من الأطباء الإسكندرانيين وقد كان أول أمره أسقفاً فى بعض الكنائس بمصر، وكان قويا فى علم النحو والمنطق والفلسفة وقد فسر كتباً كثيرة من الطبيات ولتفوقه فى الفلسفة فإنه يلحق دائماً بالفلاسفة. ويقول ابن أبى أصيبعة: إنه وجد فى بعض تواريخ النصرانى إن يحيى النحوى كان فى المجمع الرابع الذى اجتمع فى مدينة خلدونية، وكان فى هذا المجمع ستمائة وثلاثون أسقفاً مع أوتوشوس وهو يحيى النحوى. وأتوشوس تفسيره بالعربى أبو سعيد. وله لقب آخر هو فيلوبينوس أى المجتهد<sup>(١)</sup> واسمه باللاتينية *Johanines grammaticus*. وليحيى النحوى كتب كثيرة، عدّها ابن أبى أصيبعة بنحو ثلاثين كتاباً منها كتب لتفسير كتب جاليتوس، مثل تفسيره لكتاب النيض الصغير وكتاب المزاج وكتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة وكتاب الحميات وكتاب تدبير الأصحاء وغير ذلك. وقيل إن يحيى النحوى عاش حتى فتح المسلمون مصر، والتقى بعمر بن العاص الذى أكرمه، ولو أن السامرائى يقضى ذلك ويذكر أنها أخبار وهمية<sup>(٢)</sup>.

## عبد الملك بن أبجر الكنانى

كان طبيباً عالماً ماهراً، وكان مقيماً فى الإسكندرية، حيث تولى التدريس بها، وعندما دخل الإسلام مصر، أسلم بن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز، وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر، ويعتمد عليه فى صناعة الطب<sup>(٣)</sup>. وروى الأعمش عن ابن أبجر قال: دع الدواء ما احتمل بذلك الداء. وروى سفيان عن ابن أبجر أنه قال: المدة حوض الجسد، والعروق تشرع فيه، فما ورد فيها بصحة صدر بصحة، وما ورد فيها بسقم صدر بسقم.

## أهرن بن أعين

ويعرف باسم «أهرن القس» واشتهر بلقب «القس»، من تلاميذ مدرسة الإسكندرية فى زمن قريب من الفتح الإسلامى لمصر وربما أدرك أوائل الخلفاء الراشدين. عرف طبيباً وفيلسوفاً ورجل دين. عاش أكثر عمره فى سوريا..

(١) ابن أبى أصيبعة ٢ / ٣-٦

(٢) السامرائى ١ / ٢١٢

(٣) ابن أبى أصيبعة ٢ / ٢٤

ويذكر السامرائي<sup>(١)</sup> أنه ألف كتاباً بالسريانية عام ٦٠٠ ميلادية ضمنه وصفاً لمرض الجدري، يعتبر من أوائل ما كتب عن هذا المرض، كما ضمنه عديداً من الموضوعات الطبية الهامة وهو في ثلاثين مقالة. وقد ترجم جاسيوس الكتاب من لغته اليونانية إلى اللغة السريانية، وترجم ماسرجويه من هذه اللغة إلى اللغة العربية وزاد عليه مقالتين من عمله، ونشرت الترجمة في أيام الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ/ ٧١٩م) وربما كانت هذه الترجمة الأولى من سلسلة ترجمات الطب اليوناني إلى العربية<sup>(٢)</sup>. ويقول فؤاد السيد<sup>(٣)</sup>: إن العلماء والمشتغلين بتاريخ العلوم اهتموا بما أورده ابن جلجل عن ترجمة ماسرجويه لكتاب (كناش) أهرن القس بن أعين من السريانية إلى العربية لأهميته في تاريخ العلم، ولدلالتة على قدم الترجمة، ووجود خزائن للكتب في صدر الدولة الإسلامية.

## بليطان

ت ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م

كان طبيبا مشهوراً بديار مصر، نصرانيا عالماً بشريعة النصارى الملكية، قال سعيد بن البطريق في كتاب نظم الجواهر: لما كان في السنة الرابعة من خلافة المنصور من الخلفاء العباسيين صير بليطان بطريقاً على الإسكندرية، وكان طبيبا أقام ٤٦ سنة ومات. قال: ولما كان في أيام هارون الرشيد، وولي الرشيد عبيد الله بن المهدي مصر، أهدى عبيد الله إلى الرشيد جارية من أهل البيضا من أسفل الأرض (أى من دلتا مصر)، وكانت حسنة جميلة، وكان الرشيد يحبها حباً شديداً، فاعتلت علة عظيمة فعالجها الأطباء، فلم تنفع بشيء، فقالوا له ابعث إلى عبيد الله عاملك بمصر ليوجه إليك واحداً من أطباء مصر، فإنهم أبصر لعلاج هذه الجارية من أطباء العراق. فبعث الرشيد إلى عبيد الله بن المهدي يختار له من أخص الأطباء مصر من يعالج الجارية، فدعا عبيد الله بليطان بطريك الإسكندرية، وكان حاذقاً بالطب، فاعلمه بحب الرشيد الجارية وعلتها، وحمله إلى الرشيد، وحمل بليطان معه من كعك مصر الخشن والصير (الملوحة) فلما دخل إلى بغداد ودخل إلى الجارية أطعمها الكعك والصير فرجعت إلى طبيعها، وزالت عنها العلة، فصار من ذلك الوقت يحمل من مصر إلى خزانة السلطان الكعك الخشن والصير. ووهب الرشيد لبليطان مالا كثيراً، وكتب له منشورا في كل كنيسة في يد اليعقوبية مما أخذوها وتغلبوا عليها، أن ترد إليه، فرجع بليطان إلى مصر واسترد من اليعقوبية (قطب مصر) كنائس كثيرة، وتوفي بليطان في سنة ١٨٦ هـ.

يذكر المؤرخون أن أول بيمارستان في مصر أنشأه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م، وقد أقامه بأرض مدينة العسكر. ويعرف باسم البيمارستان العتيق أو البيمارستان الأعلى وكان يشرف بنفسه عليه، وأوقف عليه أوقافاً كثيرة، وشرط ألا يعالج فيه جندي أو مملوك. وألحق به حمامين أحدهما للرجال والآخر

(١) السامرائي ٢١٨/١

(٢) السامرائي ٢١٩ / ١

(٣) ابن جلجل، تحقيق فؤاد السيد - طبقات الأطباء والحكام، ٦٢

للنساء. وكان فيه خزانة كتب فى أحد مجالس البيمارستان، وكان فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد فى سائر العلوم.

ومن الجدير بالذكر أن أحمد بن طولون كان يزور البيمارستان كل يوم جمعة، وأنه شرط إذا جرى بعليل تنزع عنه ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين البيمارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له، ويغذى ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ فإذا أكل فروجا ورغيفا أمر له بالانصراف وأعطى له ماله ووثيابه. وعلى رغم قصر مدة حكم الطولونيين فى مصر، إلا إنهم خلفوا آثارا قيمة، وكان لهم العديد من الأطباء الذى عمل بعضهم فى البيمارستان، مثل :

محمد بن عبدون الجيلى وسعيد بن توفيل وشمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المصرى مدرس الأطباء بجامع ابن طولون.

وقد عمل أحمد بن طولون فى مؤخره جامع ميسأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية، وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة.

\*\*\*